**جامعة عبد الرحمن ميرة بجاية**

**قسم اللغة والأدب العربي**

**السنة الأولى ماستر**

**المحاضرة السادسة**

**خصائص الشعر في عصر الضعف**

ضعفت ثقافة الشعراء في ذلك العصر، وانصرف الشاعر عن امتهان الشعر، إلى مزاولة مهنته أولاً، وقد انفصل الشاعر عن مجتمعه وحكّام زمانه،.وكان بين لغته ولغة الناس بون شاسع، حتى لتوشك لغة النظم أن تصبح لغة أجنبية لدى الناس، كذلك طغت الركاكة والتعبيرات العامية على الشعر. والركاكة غير العامية

وقد ارتبط شاعر العصر بالتراث والماضي، وكان يضع نصب عينيه مقولة: «ما ترك الأوائل للآخر شيئاً». ولذلك كان ينهج نهج السلف تفكيراً وتعبيراً. وافتقد العصر النقاد الفنيين الذين يقومون لكل شاعر إنتاجه.واتكأ الشاعر على ألوان المحسنات البديعية بدلاً من أن يبدع فكرة. كما حاول شعراء هذا العصر أن يجدوا في أساليبهم وموضوعاتهم فانخرطت أساليبهم في مذهبين: 1- **المذهب اللفظي:**

اعتمد على التكلف والصنعة في محاولة فهم لإبراز موضوعاتهم في ثياب جديدة ماهتموا بالزخرفة اللفظية، وحاولوا أن يجعلوا البلاغة عنوانا لهم ولكنهم وصلوا في النهاية إلى طريق مغلق تحولت الصنعة البلاغية إلى هدف بعد أن كانت مسيلة.

**2- المذهب السهل:**

وقد اعتنى هذا المذهب بالمعاني البسيطة والألفاظ المألوفة، وأكثر أيضا من الصنعة فانتهى إلى الإسفاف والركاكة، وقد شاع هذا اللون بمختلف طبقات المجتمع ولقد تناول الشعر العربي في هذا العصر كل الموضوعات وبدأ الشعراء يهجرون عمود الشعر العربي، ونهج القصيدة العربية، ويسلكون إحدى طريقتين، طريق يطرق الوضوح مباشرة دون أن يقف على الأطلال، وآخر يمهد فيه الشعراء لأغراضهم، وقد اهتموا بعلوم البلاغة والبيان والبديع وأكثروا من التشابيه والاستعارات والمجازات والكنايات من ذلك قول بحير الدين بن تميم بشخص وردة:

**سبقت إليك من الحدائق وردةٌ وأتتك فقيل أونها تطفيلا**

**طمعت بلثجك إذ رأتك فجمّعت فمها إليك يطالب التقبيلا**

ومن التشبيهات أيضا قول صفي الدين الجلّي

**سوا بغنا والنفـــــع والسمر والطبا وأحسابنا والحلم والبأس والبرُّ**

**هبوت الصّبا والليل والبرق واتصفا وشمس الضحى والطور والنارُ والبحرُ.**

وقد كتب صفي الدين الحلي قصيدة جمع فيها فنون البديع كاملة فبلغت من الحسن البديعي بحيث حوت على مئة وخمسة وأربعين بيتا وفي كل بيت لون بديعي، مطلعها:

إذا جئت سلما عن جيرة العلم واقي السلام على عرب بذي سلم

وأهم المحسنات البديعية التي استخدمها الشعراء:

1**-النورية:** وقد أكثر شعراء هذا العصر من التورية وهي التي تعتمد على إيراد لفظ له معنيات أحدهما قريب ظاهر غير مقصود والآخر خفي وبعيد وهو المطلوب. من ذلك قول الشاب الظريف على لسان الكأس:

**أدور لتقبيل الثنايا ولم أزل أجود بنفسي للنّدا في وأنفاسي**

**وأكسو أكف الشرب ثوبا مذهبا فمن أجل هذا لقبوني بالكاس**

2**- الطباق:** وهو جمع بين متضادين في المعنى ، وقد اقترنت به المقابلة. يقول ابن الوردي:

**أأقتل بين جدِّك والمزاح بنبل جفونك المرضى الصحاح**

**فما لصباح وجهك من مساءٍ وما لمساء شعرك من صباح**

3**- حسن التعليل:** ويعتمد على إنكار الأديب علّه شيءٍ من الأشياء صراحة أو ضمنا، ثم يأتي بعلة أدبية طريفة تناسب الغرض من ذلك قول ابن نباته:

لم يزل جوده يجوز على الما ل إلى أن كسا النّضار اصفرارا

4- **مراعاة النظير:** وتقوم على الجمع بين أمر وما يناسبه في الكلام بالتقارب لا بالتضاد ، من ذلك قول مجير الدين بن تميم:

**لو كنت تشهدني وقد حمي الوغى في موقفٍ ما الموت فيه بمعزل**

**لترى أنابيب القناة على يدي تجري دما من تحت ظلِّ القسطل**

ومن المحسنات البديعية اللفظية:

**5- الجناس :** القائم على تشابه كلمتين لفظا واختلفهما معنى يقول الشاب الظريف:

**مثل الغزال نظرة ولفتة من ذا رآه مقبلا ولا فتتن؟**

**أعذب خلق الله ثغرا وفما إن لم يكن أحق بالحسن فمن؟**

**6-الاقتباس :** ويقوم على تضمين شيء من القرآن أو الحديث من ذلك قول ابن نباته:

**وأغيد جارت في القلوب فعاله وأسهرت الأجفان أجفانه الوسنى**

**أجل نظرا في حاجبيه ولحظة تر السحر منه قاب قوسين أو أدنى**

7- **التلاعب اللفظي :**وقد أكثر الشعراء من التلاعب اللفظي في هذا العصر كالتزام لفظ معين في بداية كل بيت أو سطر أوفي نهايته، أو أن تكتب أبياتا نقرأ بيتا من الشمال إلى اليمين أو من اليمين إلى الشمال دون أن يتغير معناها ، أو كأن نقرأ بيتا من الشمال إلى اليمين مدحا أومن اليمين إلى الشمال ذما، أو كأن نقرأ الأبيات أفقيا وشاقوليا ، أوكأن نكتب أبيات منقوطة ، وأبيات غير منقوطة ، أو أن ينظم بيت يجمع حروف الهجاء ، أو كأن يستخدم الشعر للتأريخ على طريقة حساب الجمل.

**1- اللغة**

ومن الدراسات العربية المهمة التي كتبت عن لغة الشعر في هذه المرحلة دراسة الدكتور عمر موسى باشا المعنونة ( **أدب الدول المتتابعة** ) اذ يرى في اللغة وفراً من الألفاظ التي تسربت اليها ، إذ إن الاحداث الكبرى التي شهدها هذا العصر كانت عاملاً من عوامل هذا الوفر اللغوي في الالفاظ الغريبة المعرّبة ، وفي الاساليب نشهد انحداراً نحو الانسجام والسهولة المتناهية وعدم التحرج من استخدام التعابير العامية في كثير من الأغراض المعروفة

وفي دراسة محمد عبد المنعم خفاجي الموسومة (**الحياة الادبية بعد سقوط بغداد**) يرى ان ألفاظ الشعر قد غلبت عليها العامية والابتذال الركاكة ، ومع ذلك فقد كان أئمة الشعر في هذا العصر يقولون الشعر في بعض الأحايين قويا جزلا رائعا في بلاغته ، فهذا ابن حجة الحموي يقول :

**يـا غـائبين تعـلــــلنا لغيبتـهم بطيب عيش فلا والله لم يطــــب**

**ذكرت والكأس في كفي لياليكم فالكأس في راحة والقلب في تعب([[1]](#footnote-1))**

وتحدث الدكتور ناظم رشيد عن لغة الشعر في العصر الوسيط ويرى منها ما هو شبيه بلغة الحياة اليومية العادية. وقد عجز الكثيرون من الشعراء ان يتألقوا بشعرهم لعجزهم في ان يتصرفوا في اللغة تصرف المالك لزمامها:

1-ميل بعض الشعراء الى استخدام الغريب من الفاظ العرب وذلك تصنعاً للبداوة.

2-اثر الحواضر الواضح في كثير من القصائد ، اذ تميل الفاظها عامة الى الرقة والبساطة ، يكثر فيها ذكر الانهار والجداول والمروج والبساتين والقصور والدور الجميلة وغير ذلك ،

3-اثر البيئة الفكرية والعلمية التي تركت بصماتها واضحة فيما انتهجه لشعراء العلماء الذين قالوا قصائد كثيرة اتسمت بسهولة الفاطها ايضا ، وهو الشعر الذي اصبح وسيلة لمخاطبة العقل دخلت فيه كثير من الفاظ ومصطلحات أهل العلم .

4-ان اللغة في هذا العصر لم تتأثر بلغات الاقوام المتغلبة إلا في نطاق ضيق على الرغم من تعدد الاجناس التي استوطنت سواء عن طريق الاحتلال ام الهجرة ،

ان لغة الشعر في هذا العصر ظلت نقية بوجه عام ، ولم يؤثر استخدام عدد ضئيل من الالفاظ الاعجمية على اصالتها ليعبر الشعراء بذلك عن اعتزازهم الشديد بعروبتهم ولغتهم

كما جاء استعمال الرباعي مكان الثلاثي وذلك عند الشاعر عبد الغفار الاخرس حيث قال :

**تصدى ظبي لعلع في تلاقي واسلبني التبصر حين صَدّا**

إن ما نسميه بالركاكة ليس بشرط ان يكون خطأ في نحو اللغة واستعمال مفرداتها فيما وضعت له ، وإنما هو في العجز عند التصرف باللغة بحيث تؤدي الافكار وتعبر عن الاحساس تعبيراً مرهفاً ،

**نقد الصورة والخيال**

تعد الصورة اداة فنية من ادوات البناء الشعري ترتبط بالتجربة الشعرية للشاعر حيث تجسد رؤية الشاعر وما تنطوي عليه من شعور وفكرة مع ارتباطها بقدرة اللغة الاستعارية والايحائية لتجسيم المحسوسات .

بعض نقاد ادب العصر الوسيط ذكروا قلة عناية معظم شعراء العصر بهذا العنصر المهم من عناصر النسيج الشعري اذ أشار الناقد محمد عبد المنعم خفاجي في دراسته خصائص الشعر العربي في العصر المملوكي الى سقم الخيال وضعفه ، مستشهداً بقول الشاعر:

**سألوا عن عاشق في قمـر بـادٍ سـناه**

**اسـقـمته مقـلتـاه قـلت لا بـل شفتاه**

ويتساءل الناقد ان خيال الشاعر لم يستطع هنا ان يربط بين البيتين ، ولا ان يوضح لنا كيف اسقمته شفتاه ، ولا ان يوضح المعنى المطلوب ، بيد ان الدكتور ناظم رشيد يرى انه كشف الشعر الذي قيل في احداث الغزو الصليبي والتتّري ما وقع على ديار المسلمين من مصائب ، بلغة واضحة ، وصور لا تضرب في اعماق الخيال كالمقطع الآتي :

**ودولاب مررتُ به سُحيراً يـئنُ كـأنه الصبُّ المروعِ**

**غدت أضلاعه تنعدُّ سقماً ويفنى جسمه صبُّ الدموعِ**

**الموسيقى**

الدكتور عمر موسى باشا يرى ان موسيقى الشعر في هذا العصر تقع ضمن اتجاهين :

الأوّل ـ يشتمل على هيكل الاوزان الشعرية المعروفة ـ التي يقصد بها الاوزان الشعرية التقليدية ، ومع ذلك حاول المتأخرون والمولدون ان يستنبطوا بحوراً جديدة من البحور الستة عشر المعروفة ، وذلك بعكس دوائر البحور المذكورة وكانت حصيلتهم من هذه المحاولات ستة بحور جديدة أضيفت الى ما عرف من قبل وهي : المستطيل ، الممتد ، المتئد، والمنسرد والمتوافر ، والمطرد

إما الاتجاة الثاني فيشتمل على الفنون الشعرية المستحدثة التي حدث فيها تطور جديد على ما الفه العرب ، فشمل اللغة والإعراب والوزن والقافية ، وهي تختلف في المدى الذي اخذت فيه من هذا وذاك. هي عند اهل المغرب ومصر والشام : الشعر الفريض ، والموشح ، والدوبيت، والزجل ، والمواليا ، والكان كان ، والحماق ، واهل العراق وديار بكر ممن يليهم يثبتون الخمسة منها ، ويبدلون الزجل والحماق بالحجازي والقوما وهما فنان اخترعهما البغاددة للغناء بهما

**ظاهرة البديع**

في العصر الوسيط ، شغف الشعراء بالبديع وان الادباء قد فتنوا به وبذلك اتخذه بعض النقاد دريعة للطعن على هذا العصر من غير النظر الى اصوله واسبابه في بعض منها.

محمد عبد المنعم يرى ضمن خصائص الادب في العصر المملوكي الاكثار من الوان البديع ومحسناته من تورية وجناس وطباق ومقابلة وتضمين واقتباس واستخدام ومراعاة النظير وسواها . ولايختلف هذا الرأي عنده في العصر العثماني من حيث الاساليب والالفاظ التي كثرت فيها الزخارف اللفظية والمحسنات البديعية الممقوتة المتكلفة والمتخاذلة

ويرى الدكتور عمر موسى باشا ، ان لكل زمان بديعاً ، وان سبيلهم في التصنع البديعي الذي ساد هذا العصر يتمثل في اتجاهين اثنين :.

الاتجاه اللفظي: ساد في القرن السادس للهجرة ، وظهر على اتمه في مذهب التطبيق والتجنيس .

الاتجاه المعنوي: وهو الاتجاه الذي ساد في القرن السابع للهجرة الذي ظهر على اتمه في مذهب التورية والانسجام. وفيما يلاحظ تكلف بعض الشعراء في التصنع اللغوي والتكلف الاسلوبي ،

ومن عالم البديع الذي ولج به الأدباء في العصر وفق ما مرَّ ذكره ، الامر الذي اسفر عن ولادة فن جديد في فنون الادب العربي عرف بـ( البديعيات ) ، وتعد من ابرز صور هذا العلم ، ظهرت في القرن الثامن الهجري واستمرت حتى القرن الرابع عشر ، غرضها المديح النبوي ، هذا القالب الذي اشتهر من خلال بردة البوصيري

وقد اثمر العصر فناً جديداً آخر يدعى (الروضات او المحبوكات) الذي سمي كذلك لأن قصائده محبوكة الطرفين ، حروف ابياتها كرويها ، فإذا كان حرف الروي على سبيل المثال (راء) وجب ان يكون اول حرف في البيت راء ايضا . وهكذا الى نهاية القصيدة التي من شروطها النظم على عدد حروف الهجاء حسب تسلسلها بيتا، ويعد صفي الدين الحلي مبتكر هذا الفن .

1. ()الحياة الادبية بعد سقوط بغداد : 98. [↑](#footnote-ref-1)